Quarterly Research Journal of Arabic
ALOROOBA
العروبة
ISSN (Print): 2710-5172
ISSN (Online): 2710-5180

***Volume**: 4* ***Issue**: 2 (April – June 2023)*
Alorooba Research Journal
***ISSN (Print):** 2710-5172* ***ISSN (Online):** 2710-5180*
***HJRS**: https://hjrs.hec.gov.pk/index.php?r=site%2Fresult&id=1021427#journal_result*
***Issue URL**: https://www.alorooba.org/ojs/index.php/journal/issue/view/11*
***Article URL**: https://www.alorooba.org/ojs/index.php/journal/article/view/76*

***Title**:* **الرواية التاريخية عند أمين معلوف**
Historical Novels of Amin Malouf

Author**:* ***Rashida Fatimah
PhD Scholar, Arabic Department
National University of Modern Languages – Islamabad
E-mail: rashidafatima3@gmail.com
ORCID: https://orcid.org/0009-0004-8400-7927

***Indexation**: ISSN, DRJI, Euro Pub, Academia, Google Scholar, Asian Research Index, Index Copernicus International, index of urdu journals.*

***Citation**: Rashida Fatimah. (2023). Historical Novels of Amin Malouf : الرواية التاريخية عند أمين معلوف. Alorooba Research Journal, 4(2), 208-224. Retrieved from https://www.alorooba.org/ojs/index.php/journal/article/view/76*

***Published:** 2023-06-21*
***Publisher**: Alorooba Academic Services SMC-Private Limited Islamabad-Pakistan*

الرواية التاريخية عند أمين معلوف

Historical Novels of Amin Malouf

Rashida Fatimah
PhD Scholar, Arabic Department
National University of Modern Languages – Islamabad
E-mail: rashidafatima3@gmail.com ORCID: https://orcid.org/0009-0004-8400-7927

Abstract

The Arabic novel has diversified since its inception, according to its topics and interests, between sociology, romance, politics, etc. including: the novel that takes history as a stage for its events, so it tells in a literary form the stories of ancient history, in a style that mixes the historical truth with narrative fiction.

And if we take a glance at the historical novels in Arabic, we will find that the Arab novelists dealt with the different historical eras, kingdoms and states that rose and reached their peak, then vanished and collapsed, whether in the Arab world, or in the East in general, or even the history of the West and its countries, as was the case of the Prophet's biography, The history of His Companions is a wide range of these historical narratives.

Several names of Arab novelists emerged in the field of writing the historical novel, including Ali Ahmed Ba kathir, Mahmoud Farid Abu Hadid, Georgi Zaidan, Abdel Hamid Jawdat Al-Sahar, and others.

Among the Arab novelists who authored the historical novel: Amin Maalouf, who wrote in both languages: Arabic and French.

Keywords: *Historical Novel, Amin Malouf, Arabic Novel, Literature.*

المقدمة

تنوّعت الرواية العربية منذ نشأتها حسب موضوعاتها واهتماماتها، بين الاجتماع والرومانسية والسياسة والدين والتاريخ، وغيرها، ومن هذه الأنواع: الرواية التي اتخذت التاريخ مسرحاً لأحداثها، فتحكي في قالب أدبي قصص التاريخ القديم، في أسلوب يمازج الحقيقة التاريخية بالخيال القصصي.

والرواية التاريخية كما يعرّفها سعيد علوش هي:

(سردٌ قصصيٌ يرتكز على وقائع تاريخيةٍ، تنسج حولها كتاباتٌ تحديثيةٌ، ذات بعدٍ إيهاميٍ معرفيٍ، وتنحو الرواية التاريخية غالباً إلى إقامة وظيفةٍ تعليميةٍ وتربويةٍ). (١)

وفي تعريف آخر لها فإن الرواية التاريخية من منظور "معجم المصطلحات العربية في اللغة والأدب" هي:

(سردٌ قصصيٌ يدور حول حوادث تاريخيةٍ وقعت بالفعل، وفيه محاولةٌ لإحياء فترةٍ تاريخيةٍ، بأشخاص حقيقيّين أو خياليّين، أو بهما معاً). (٢)

ولو تصفحنا الروايات التاريخية في الأدب العربي فسنجد أن الروائيين العرب تناولوا الحِقب التاريخية المختلفة والممالك والدّول التي قامت ووصلت أوج الذروة، ثم زالت واندثرت، سواء في العالم العربي، أو في المشرق بصورة عامة، أو حتى تاريخ الغرب ودوله، كما كان للسيرة النبوية – صلى الله عليه وسلم – وتاريخ الصحابة – رضي الله عنهم – حيزاً واسعاً من مادة هذه الروايات التاريخية.

وبرزت عدة أسماء من الروائيين العرب في مجال تأليف الرواية التاريخية، منهم: علي أحمد باكثير، ومحمود فريد أبو حديد، وجورجي زيدان، وعبد الحميد جودت السحار، وغيرهم.

ومن الروائيين العرب المعاصرين الذين اهتمّوا بالتأليف في الرواية التاريخية: أمين معلوف، الذي بدأ الكتابة باللغة العربية، وكتب رواياته باللغة الفرنسية.

وأتناول في هذا البحث موضوع: (الرواية التاريخية عند أمين معلوف)، ويتكون البحث من مبحثين وخاتمة، على النحو التالي:

المبحث الأول: أمين معلوف ولادته ونشأته.

المبحث الثاني: روايات أمين معلوف التاريخية، ومنهجه فيها.

الخاتمة: وتشمل نتائج البحث.

وهذا البحث جزء من مشروع أطروحتي لمرحلة الدكتوراه بعنوان: فن الرواية التاريخية بين أمين معلوف وعنايت الله التمش (دراسة مقارنة).

المبحث الأول: أمين معلوف ولادته ونشأته

أمين رشدي معلوف: أديب لبناني، ولد في مدينة بيروت، لعائلة مسيحية كاثوليكية، في الخامس والعشرين من فبراير عام ١٩٤٩م، وتوفي والده رشدي معلوف (وكان من كبار الصحافيين) في انفجار أثناء الحرب الأهلية اللبنانية، وتزوج أمين معلوف من أندريه معلوف، ولهما ثلاثة أولاد، وأمين معلوف لا يزال على قيد الحياة.

درس معلوف علوم الاجتماع والاقتصاد في جامعة القديس يوسف في بيروت، وعمل في الصحافة، وكانت الإنجليزية لغته الثانية في البيت بعد العربية، وبدأ في تعلم الفرنسية في سن الثامنة، ثم هاجر مبكراً إبان الحرب الأهلية اللبنانية إلى فرنسا عام ١٩٧٦م، واستقر في باريس، ورغم عمله في المجال الصحفي إلا أنه بدأ التأليف في الأدب والرواية أيضاً، ونال كثيراً من الأوسمة والجوائز الأدبية عن أعماله الأدبية ومؤلفاته، أشهرها: جائزة غونكور الفرنسية، والوشاح الأكبر لوسام الأرز اللبناني، ووسام الاستحقاق الوطني الفرنسي، واحتُفِيَ بأمين معلوف وكرّم من جائزة الشيخ زايد للكتاب ليكون (الشخصية الثقافية لعام ٢٠١٦م)،كما حصل على عضوية الأكاديمية الفرنسية عام ٢٠١٢م، ليكون ثاني كاتب عربي يحصل على عضوية هذه الأكاديمية. (٣)

تجتمع في هوية أمين معلوف عدة انتماءات انصهرت في شخصيته الثقافية والأدبية، فهو لبناني عربي المولد والأصل، فرنسي المهجر والجنسية، مسيحي كاثوليكي، مع بعض الانتماء البروتستانتي من جهة أبيه، ويحمل أصولا تركية ومارونية ومصرية أيضاً. (٤)

ألّف معلوف كتبه ورواياته باللغة الفرنسية، وتُرجمت إلى العربية، كما ترجمت أعماله إلى اللغات الأخرى، ووصلت ترجمات بعضها إلى أربعين لغة من اللغات العالمية، وهنا سؤال يرد بخصوص انتماء كتابات أمين معلوف إلى العربية أو إلى الفرنسية؟

لا شك أن عدداً من الكتاب والأدباء والروائيين العرب كتبوا وألفوا بلغات أجنبية، لا سيما بالإنجليزية والفرنسية، مثل بعض أدباء المهجر، وعلى رأسهم: جبران خليل جبران، وميخائيل نعيمة، ولم يخالف النقاد في انضمام أدب هؤلاء الكتاب وكتاباتهم إلى جنس الأدب العربي، وذلك لأنهم تناولوا العالم العربي والشرق وقضاياه في آدابهم، ولم ينفصلوا عن العالم العربي

إلا بمجرد هجرتهم إلى الغرب، وما اللغة إلا وعاء يحتوي ما يوضع فيها من الأدب، فالعبرة بالموضوع لا بالوسيلة، وكذلك حال بعض الأدباء والروائيين العرب في الوقت الحاضر، الذين يكتبون بالفرنسية أو الإنجليزية.

وفي الجانب الآخر ذهب عدد من الباحثين إلى تصنيف هذا النوع من الأدب ضمن اللغة التي كتب بها، بغض النظر عن محتواه وفكره، ومن هؤلاء الناقد والروائي المصري إدوار الخراط، الذي ذهب إلى أن "الأدب الذي يكتبه عربٌ باللغة الفرنسية، هو في النهاية أدب فرنسي". (٥)

ويطرح الكاتب المغربي فؤاد بو علي هذه التساؤلات قائلاً:

> لماذا يكتب العربي باللغة الفرنسية؟ ومن يستهدف بكتاباته؟ وهل الكتابة بلغة المستعمر جزءٌ من إرث قديم؟ أو أنها "غنيمة حرب"؟، أو هي ذريعةٌ لتجاوز الرقابة المحلية حضارياً وسياسياً وأيديولوجياً؟ وكيف يمكن تصنيف هوية هذه الكتابات؟ هل تعدّ جزءاً من الأدب العربي أو الفرنسي (الأجنبي)؟ أو أعمالاً مترجمة إلى الفرنسية؟ أو بعض ما يسمى أدب الاستشراق؟ أو تعبيراً عن منظومة قيمية مخالفة؟ ... أو أن النقاش في حد ذاته مغلوط يبحث عن قومية طاهرة متخيلة في فضاء دنس الحداثة؟ ويظل السؤال المحوري هو: هل يمكن تصور الكتابة الأدبية باللغة الأجنبية؟. (٦)

من مؤلفات أمين معلوف:

١. الحب عن بعد (مسرحية شعرية).
٢. الأم أدريانا (مسرحية شعرية).
٣. الهويات القاتلة (مقالات سياسية).
٤. بدايات (سيرة عائلية).
٥. مقعد على ضفاف السين (أربعة قرون من تاريخ فرنسا).

المبحث الثاني: روايات أمين معلوف التاريخية

روايات أمين معلوف التي تناولت التاريخ هي كالتالي:

الرواية الأولى– التائهون:

تتناول الرواية أحداث الحرب الأهلية في لبنان، التي اندلعت عام ١٩٧١م، عبر تسعة أصدقاء كانوا طلاباً في الجامعة في بيروت، ويمثل التسعة طوائف لبنان المختلفة، وهم مختلفون في الديانات والأفكار والطبقات، ولكنهم اتفقوا على حب الوطن، والاهتمام بقضاياه، واضطروا في النهاية إلى الهجرة إلى الغرب، ثم اجتمعوا في بيروت بعد مرور خمس وعشرين سنة، وهم:

رمزي المسلم، ونعيم اليهودي، سميراميس ومراد وتانيا ورامز المسيحيون، بلال ونضال الشيعيان، آدم وألبير.

تطرق أمين معلوف في هذه الرواية إلى الصراع بين الشرق والغرب، فأظهرت الرواية الشرق في صورة سلبية تشاؤمية، من خلال منظور الشخصيات، في محاولة لتعدد الأسباب التي أدت إلى تأخر الشرق، وتكمن في الحروب والصراعات التي تتذمر منها شخصيات الرواية، والتي حالت دون لحوق الشرق بالغرب في التمدن والتقدم والتطور، ودعا الروائي من خلال السرد الروائي إلى التقارب بين الشرق والغرب، والدعوة إلى التنوع اللغوي والثقافي.

وأظهر الروائي الغرب في صورة إيجابية تبعث على الأمل والتفاؤل، فهو موطن الديموقراطية والحريات والحقوق، ولهذا نرى أبناء الشرق يتجهون للهجرة إلى الغرب، فراراً من البطالة والحروب والصراعات.

الرواية الثانية– الحروب الصليبية كما رآها العرب:

اختلف النقاد في هذا الكتاب، هل هو كتاب تاريخي؟ أم رواية فنية عن الحروب الصليبية؟ والحقيقة أن هذا الكتاب استند إلى الحقائق التاريخية بشيء من الخيال الروائي الدرامي، وقدم وجهة نظر الغرب حول الحروب الصليبية التي شُنت على الشرق.(٧)

يضم الكتاب مقدمة، وستة أقسام، فيها أربعة عشر فصلاً، وخاتمة.

القسم الأول: الغزو (١٠٩٦ – ١١٠٠م). وفيه ثلاثة فصول.

القسم الثاني: الاحتلال (١١٠٠ – ١١٢٨م). وفيه فصلان.

القسم الثالث: الهجوم المضاد (١١٢٨ – ١١٤٦م). وفيه فصلان.

القسم الرابع: النصر (١١٤٦ – ١١٨٧م). وفيه ثلاثة فصول.

القسم الخامس: التأجيل (١١٨٧ – ١٢٤٤). وفيه فصلان.

القسم السادس: الطرد (١٢٢٤ – ١٢٩١م). وفيه فصلان.

فالكتاب يتحدث عن الفترة التاريخية الممتدة من (١٠٩٦م) إلى (١٢٩١م)، أي حوالي قرنين ميلاديين.

في الخاتمة حاول المؤلف أن يقدم تبريرات وتفسيرات لهزيمة العرب (المسلمين) أمام الصليبيين؛ بأن زمام أمورهم أصبح بيد الأتراك والأرمن والأكراد؛ ولذلك بدأت حضارتهم في التراجع والتخلف، وفي الجانب المقابل كان الإفرنج يعيشون فترة صحوة وقوة، وكان لهم اتصال بالحضارة الشرقية ومكامن قوتها وضعفها، وظل العرب يحملون عقدة من الحروب الصليبية حتى العصر الحاضر، فيرون الغرب عدواً أساسياً، والوجود (الاحتلال) الإسرائيلي امتداداً للحروب الصليبية، فالمؤلف يحاول التقريب بين الشرق والغرب، أو تلميع صورة الغرب في نواظر الشرق.

الرواية الثالثة– صخرة طانيوس:

صدرت بالفرنسية عام ١٩٩٣م، وترجمها إلى العربية: جورج أبو صالح، وتتناول شخصية فتى مسيحي، مشكوك في هوية والده، كما تروي الرواية أحداث الصراع بين القوى الكبرى آنذاك: الخلافة العثمانية، ومصر وإنجلترا.

تتحدث الرواية عن الشاب طانيوس، من عائلة معلوف، التي ينتمي إليها أيضاً الروائي أمين معلوف، والأسطورة التي نسجها حوله رواة الجبل، ورسم أمين معلوف – من خلال قصة طانيوس – المناخ التاريخي والسياسي لمنطقة جبل لبنان.

كما تتناول الرواية الوضع الاجتماعي لمنطقة جبل لبنان، فالشيخ (الإقطاعي) يعتبر النساء جزء من أملاكه، وله حق التمتع بهن سراً، وهن لا يجرؤن على منعه وصده أو إهانته، بل تلتزم النساء اللاتي يخدمن في بيته بالمكوث بجوار زوجته، أو يصطحبن طفلاً، للحيلولة دون وصول الشيخ إليهن.

وقد اعتمد الروائي على مصادر خيالية وهمية في توثيق مادته التاريخية وحواراته، ومن ذلك:

١- "أخبار الجبل": كتاب للراهب اللبناني إلياس، وقد اقتبس منه حوالي ثمانية عشر اقتباساً، عن الأحداث التي وقعت في جبل لبنان في القرن التاسع عشر.

٢- حوارات مسهبة مع جبرايل وهو عجوز لبناني.

٣- يوميات جيريمي ستولتون، وهو قس إنجليزي، وقد نقل عنه معلوف حوالي ثمانية اقتباسات، وكان القس مقيماً في لبنان وكتب عن أحداث جبل لبنان، بوصفه كاتباً غربياً مقيماً في لبنان.

٤- "حكمة البعّال" لنادر البعّال، ويضم الكتاب حوارات وأشعاراً وحِكماً.

الرواية الرابعة- سمرقند:

صدرت عام ١٩٨٨م، بالفرنسية، وترجمها إلى العربية: الدكتور عفيف دمشقية، واختار أمين معلوف لروايته هذه اسم (سمرقند)، وهذ المدينة التاريخية الواقعة في شمال خراسان القديمة، والتي تحمل تاريخاً عريقاً في التاريخ الإسلامي. وتنقسم الرواية أربعة أقسام، وهي: [٨]

- الكتاب الأول: شعراء وعشاق.
- الكتاب الثاني: فردوس الحشاشين.
- الكتاب الثالث: نهاية الأعوام الألف.
- الكتاب الرابع: شاعر تائه.

وتدور أحداث الرواية حول قصتين: في الشطر الأول من الرواية وقعت الأحداث في فارس (إيران)، وبطلها عمر الخيام، الفيلسوف والشاعر، ورباعياته الشعرية، ومواكبة الدولة السلجوقية، والحشّاشين، وجاءت هذه القصة بضمير الغائب، وحكى أمين معلوف عن العلاقات الغرامية التي جمعت عمر الخيام ببعض النساء، وعن شربه للخمر، واشتغاله بالتنجيم، وهذه القصص والعلاقات لا ذكر لها في المصادر التاريخية، وهي أمور فنية لجلب القارئ، وإدخال عنصر الإثارة في الرواية.

أما الشطر الثاني من الرواية فيحكي بضمير المتكلم قصة بنجامين ليسيج، وهو روائي أمريكي، سعى للحصول على مخطوطة أصلية من رباعيات عمر الخيام، ولكن المخطوط فُقد مع حادثة غرق سفينة تايتانيك الشهيرة، عام ١٩١٢م، وبذلك نلاحظ أن أمين معلوف واكبَ بين زمانين متباعدين في الرواية، الأول: عصر عمر الخيام، والثاني: مطلع القرن العشرين، ولهذا فإن الرواية تحمل فجوة زمنية كبيرة بين شطريها.

أبرز الشخصيات الروائية التي برز منظورها الأيدلوجي في الشطر الأول من الرواية، هي:

عمر الخيام، حسن الصباح (مؤسس فرقة الحشاشين الإسماعيلية)، نظام الملك (رئيس وزراء دولة السلاجقة)، جهان (عشيقة الخيام)، القاضي الشافعي أبو طاهر، وغيرهم، إضافة إلى عدد من الشخصيات الروائية الخيالية.

أما في الشطر الثاني من الرواية، فنلاحظ بعض الشخصيات، مثل: بنيامين لوسيج الأمريكي، شيرين الفارسية، فاضل الفارسي، باسكرفيل الأمريكي، شوستر الأمريكي، جمال الدين الأفغاني، وهي شخصياتٌ تناضل من أجل الحرية والديموقراطية والتمّدن، وتحارب الرجعية والديكتاتورية والتعصّب.

وحفلت الرواية بالملامح الاستشراقية، ففي الشطر الثاني من الرواية كان البطل لوساج مستشرقاً أمريكياً، الذي سافر إلى فارس للبحث عن مخطوط عمر الخيام، وقدم معلوف صورة مختلفة لعمر الخيام عن الاعتقاد السائد في الآراء الاستشراقية، كما تحدث معلوف عن الحشاشين الإسماعيليين من منظور مختلف قليلاً عما يقول به المستشرقون، وقدمت رواية سمرقند صورة للمشرق من منظور المستشرقين، وأراد معلوف أن يلقي الضوء على جهود المستشرقين في التعريف بحضارة الشرق من منظور الغرب والاستشراق.

ونلاحظ بأن الرواية تعيش صراع الهويات والأعراق والمذاهب على مدار فصولها الأربعة، ويرسم أمين معلوف استغلال أوروبا لإيران وللشرق، ويمزج بين هويتين من خلال بنيامين لوسيج، الهوية الأمريكية، والهوية الشرقية الفارسية، من خلال قصة الحب التي جمعت بين بنيامين لوسيج، المولود لأب أمريكي وأم فرنسية، وشيرين (حفيدة شاه إيران). (٩)

ومن الاعتراضات النقدية على هذه الرواية: أن الروائي قسم الرواية الواحدة إلى قسمين متغايرين، يختلف الشطر الثاني عن الأول في الشخصيات والأحداث والزمن.

كما أن الروائي سرد القصة في الشطر الثاني من منظوره الخاص ومنظور الشخصيات التي روى على لسانها القصة، ولم يعط فرصةً للشخصيات الأخرى التي يخالفها الروائيّ وهي شخصيات ذات منظور مختلف، لم يعطها الفرصة أن تعبر عن رأيها وفكرها وأن تطرح القضية من وجهة نظرها، مثل: شاه إيران، والسلطان العثماني عبد الحميد، والقيصر الروسي، ورجال الدين الشيعة (الملالي) في إيران.

فالسلطان العثماني عبد الحميد – في نظر جمال الدين الأفغاني – مجرم ونصف مجنون، ولم يذكر معلوف له صفة إيجابية واحدة، وفي المقابل قدم ثورة كمال أتاتورك بصورة حسنة، وأنها انتصارٌ للديمقراطية، وقدم معلوف الحركة البابية (البهائية) في صورة بريئة إيجابية، ولم يذكر موقف جمال الدين الأفغاني المخالف لهذه الحركة، كما لم يذكر معلوف دور رجال الدين الشيعة في نجاح الثورة ضد الشاه، وصرح الروائي بأن السلطان هو الذي قتل الأفغاني.

وتصف شيرين رجال الدين الشيعة بأنهم ثاروا على القانون وأرادوا حشد الشباب ضد الدستور، ولكن الشعب كان غير مبالٍ، ولا متعصبٍ لهم، فهم برابرة رجعيون، وشاه إيران – في نظر باسكرفيل – فاسد، والرؤساء الدينيون كذلك، كما أهملت الرواية إيجابيات الشخصيتين: ملكشاه وألب أرسلان، وذكرت سلبياتهما. (١٠)

الرواية الخامسة– ليون الإفريقي (موانئ المشرق):

صدرت عام ١٩٨٦م، باللغة الفرنسية، وترجمها: عفيف دمشقية إلى اللغة العربية، عام ١٩٨٩م، وهي رواية تاريخية في سرد سير ذاتي تخيليّ، في بنية تحاكي أدب الرحلة، فهي بذلك تشكل خليطاً من ثلاثة أجناس أدبية: السيرة الذاتية، والرواية، وأدب الرحلة. وجاءت الرواية على اسم بطلها ليون الإفريقي أو الحسن الوزّان، كما ترتكز الرواية في مادتها على الكتاب المخطوط: "وصف إفريقيا" للحسن الوزّان.

يتراوح الزمن الروائي للرواية بين عامي ١٤٨٨ و١٥٢٧م في القرن السادس عشر، وتتناول مراحل الحياة لبطلها الحسن الوزّان خلال أربعين عاماً، منذ الطفولة، والصّبا، والشّباب،

والكهولة. وتصادف طفولته أواخر الحكم العربي الإسلامي للأندلس، ثم تبدأ رحلات الوزان وأسفاره المختلفة، كما يصادف الوزّان أحداثاً أخرى، مثل: صعود الدولة العثمانية، والنهضة الأوروبية. (١١)

وتأتي هذه الرحلات بدوافع مختلفة، مثل: الهجرة القسرية، وزيارة الأضرحة المقدسة، والحج إلى مكة، والرحلات لأغراض تجارية أو دبلوماسية أو تربوية، إضافة إلى رحلات وأسفار عقابية، مثل: الطرد والنفي، وأيضاً الاختطاف المؤدي إلى الرقّ والعبودية. (١٢)

قُسّمت الرواية إلى أربعة أجزاء، مسماةٍ على الفضاء المكاني للرواية، وهي:

١- كتاب غرناطة، وقسمه إلى ستة أعوام: عام سلمى الحرة، عام التمائم، عام أستغفر الله، عام السقوط، عام المهرجان، عام الرحيل. (١٣)

٢- كتاب فاس، وقسمه إلى تسعة عشر عاماً: عام الفنادق، عام العرافين، عام النوادب، عام هارون المنقب، عام المفتشين، عام الحمام، عام الأسدين الهائجين، عام ختم القرآن، عام الخدعة، عام القشة المعقودة، عام القافلة، عام تومبكتو، عام الوصية، عام المارستان، عام العروس، عام الثروة، عام القصرين، عام الشريف الأعرج، عام العاصفة. (١٤)

٣- كتاب القاهرة، وقسمه إلى ستة أعوام: عام العين الجليلة، عام الجركسية، عام العصاة، عام السلطان التركي المعظم، عام طومان باي، عام الاختطاف. (١٥)

٤- كتاب رومة. وقسمه إلى تسعة أعوام: عام القديس أنجلو، عام الهراطقة، عام المرتدة، عام أدريان، عام سليمان، عام الرحيم، عام ملك فرنسا، عام العصابات السوداء، عام المرتزقة الألمان. (١٦)

وتتنوع الشخصيات في الرواية بين الشخصيات السياسية التاريخية آنذاك، وبين الشخصيات المحيطة بالوزّان من الأقارب والأصدقاء والمعارف.

وتتضح في الرواية التحول الديني الذي طرأ على بطل الرواية (ليون الإفريقي = الحسن الوزّان) الذي تحول من الإسلام إلى المسيحية، ولكن لا زالت آثار الدين الإسلامي باقية وظاهرة في كلامه وتصريحاته، كما يقول:

(كالمأمون بن هارون الرشيد تغمدهما الله برحمته). (١٧)

فطريقة دعائه وترحّمه على خلفاء الدولة العباسية تعكس بقايا ولائه الديني، وربما حنينه إلى الشرق. وعندما حاوره البابا المسيحي، وسأله قائلاً:

(أتسمح الديانة الإسلامية باختيار أفضل؟) أجاب ليون: (وكدت أقول نحن ... ولكنني استدركتُ في الوقت المناسب: يتعلّم المسلمون أن "خير الناس أنفعهم للناس").(١٨)

ففي هذا النص تطغى الديانة الأولى لليون الإفريقي على نفسيته، في محضر البابا المسيحي، ويكاد لسانه ينفلت ليصرّح في جوابه بأنه لا زال ينتمي إلى الإسلام ويمثّل المسلمين، ولكنه يتدارك نفسه، ثم يقتبس في جوابه حديثاً للنبي صلى الله عليه وسلم.(١٩)

وهكذا تزدان عبارات الحسن الوزّان في الرواية بالألفاظ والعبارات الإسلامية، مثل: جنات عدن، أرض الله واسعة، وغيرها.(٢٠)

وقد تبنّى أمين معلوف رأياً واحداً دون الإشارة إلى بقية الآراء، وذلك في الحقائق التاريخية التي اختلف بشأنها المؤرخون، مثل: سنة ولادة الوزّان، وهل تنصر على يد البابا أم ظل سراً على إسلامه؟ وهل عاد إلى موطنه فاس أم بقي في روما؟. كما حكى أمين معلوف عن العلاقات الغرامية التي جمعت الوزّان ببعض النساء، وهذه القصص والعلاقات لا ذكر لها في المصادر التاريخية، وهي أمور فنية لجلب القارئ، وإدخال عنصر الإثارة في الرواية. إضافة إلى أن الروائي اختلق بعض الشخصيات الروائية التي لم يكن لها ذكر في الحقائق التاريخية، وذلك تماشياً مع سير الأحداث في سرد الرواية، مثل: هارون: صديق الوزّان، ومريم أخته، وردة: زوجة أبيه.

أما السرد فقد سلك مستويين بصورة عامة، وهما:

الأول- السرد الشمولي، الذي يصف الأحداث التاريخية والسياسية، المحيطة بحياة بطل الرواية الحسن الوزّان، ولغة هذا المستوى السردي تقترب من الأدب الرحلي.

الثاني- السرد الذاتي، ويسلط الضوء على ذوات الشخصيات الروائية، وصفاتها النفسية، ويخرج هذا السرد من نص التاريخ نحو نصّ الذات.(٢١)

وقد زاوج أمين معلوف في روايته هذه بين فن الرواية التاريخية، وفن السيرة؛ لأن الرواية تعدّ سيرة غيرية للبطل الحسن بن محمد الوزّان الزياتي (ليون الإفريقي) الذي سمى نفسه يوحنا الأسد الغرناطي.

لم تحظ الرواية بالقبول بأريحيةٍ لدى النقاد العرب، لأسبابٍ عدة، منها:

١- ثقل سؤال الهوية لبطل الرواية الحسن الوزّان، الذي يصور على أنه شخصية تفتش وتبحث عن التسامح، وتنزح من الفضاءات التي تفتقر إلى التسامح، ويسودها العنف المذهبي والسياسي والقومي.

وتتجلى شخصية الكاتب أمين معلوف من خلال بطل الرواية الحسن الوزّان، في تعدد الهوية، واغتراب المثقف، وكأن أمين معلوف يريد أن يتوارى وراء هوية الوزّان.

٢- الحمولة الفكرية غير المتوازنة في الرواية، التي صوّرت سقوط الأندلس وخروج المسلمين منها نحو شمال أفريقيا، من المنظور الأوروبي على أنه رحلة سياحية، لا على أنها كانت نكبة ومأساة، وأن أزمة المسلمين لم تكن في الخروج من الأندلس، فهي لم تكن موطنهم الأصلي، بل بدأت أزمة المسلمين الحقيقية في وصولهم إلى الشمال الإفريقي في فاس، واستيطانهم فيها، وتكيفهم في العيش هناك، وفي المقابل سلطت الرواية الضوء على تعرض اليهود للاضطهاد ، وهذه الأيدلوجيا المعاكسة، والأحادية الجانب في طرح القضية تشكّل تزلّفاً فكرياً نحو الغرب ونحو اليهود؛ كي تحظى الرواية بالقبول في الوسط الأوروبي الذي صدرت فيه، وهاجر إليه أمين معلوف، وتجنّس بجنسيته.

بينما ترى الناقدة ميسلون هادي بأن أمين معلوف ظل حيادياً تجاه الموروث الثقافي والديني، وأنه صاغ في قالب روائيّ تلك الملاحظات التي دوّنها الوزّان في كتابه: "وصف إفريقيا".

الرواية السادسة– حدائق النور:

صدرت عام ١٩٩١م، بالفرنسية، وترجمها إلى العربية: د. عفيف دمشقية، وتتناول شخصية المفكر الديني ماني، الذي ولد عام ٢١٦م، في بلاد ما بين النهرين، ويُعتقد أنه كان نبياً لتلك الحقبة الزمنية، سجنه الإمبراطور الساساني بهرام وأعدمه عام ٢٧٧م، واستمرت ديانته

التوحيدية المانوية قرابة الألف عام، وهي خليط من البوذية والمسيحية والزرداشتية، وكان ماني شخصيةً مستنكفةً عن الثروة، عازفةً عن السلطة، غارقاً في الروحانية وتطهير الذات.

وتمثل الرواية سيرة غيرية تبدأ بتمهيد سردي للقصة التي تتضمنها الرواية، ويختم الرواية بخاتمة سردية قصيرة، توضح فكرة الروائي التي سعى لترسيخها في أذهان القراء.

وقدم أمين معلوف في هذه الرواية فكر التسامح الديني، والسلام، والدعوة إلى تطهير النفس، والعزوف عن القتل، والقمع، والاضطهاد، والحروب.

وتبرز في الرواية – إلى جانب شخصية بطلها ماني – الشخصيات الأخرى المساعدة التي سجلت حضورها في الحوارات، مثل: باتيغ والد ماني، ومالكوس وزميله، ورئيس الكهنة الساسانيين (كردير)، والامبراطور الفارسي، وتلاميذ ماني، وغيرهم.

الرواية السابعة– سلالم الشرق:

صدرت بالفرنسية، وترجمتها إلى العربية: منيرة مصطفى، والترجمة الثانية لنهلة بيضون، وصدرت الرواية عام ١٩٩١م، وتتناول شخصية الزوجين: عصيان المسلم المتحدر من السلالة العثمانية وكلارا اليهودية، انفصلا بعد الحرب العالمية الثانية، والرواية أقرب ما تكون إلى المذكرات لبطل الرواية على لسانه، وهو يرويها للراوي الأول الذي يذكره لقاءه بعصيان وتعرفه عليه، ومعرفته بقصته.

وظف أمين معلوف الوضع السياسي لوجود المقاومة الفرنسية السرية ضد النازية، والصراع العربي ضد اليهود في فلسطين.

الرواية الثامنة– القرن الأول بعد بياتريس:

بطل الرواية بروفيسور جامعي فرنسي، يتعرف على صحافية ويتزوجها، ويعملان على البحث حول العالم عن سبب العقم والإخصاب، ويتعرضان لعدة حوادث في مناطق من قارة أفريقيا كانت وشيكة أن تودي بحياتهما.

وتبرز إلى جانب بطل الرواية البروفيسور وزوجته الصحافية صديقاه: عالم النباتات والمحامي، وتتناول الرواية عدة موضوعات، حول تحديد النسل، والتحكم في جنس المواليد، وإنجاب الذكور، والهجرة من الجنوب إلى الشمال، إضافة إلى بعض المواضيع الضمنية التي أراد

الروائي أن يقدمها للقارئ، مثل: تعايش الرجل والمرأة وإنجابهما للأطفال دون زواج، ولا شك أن هذا المنظور يعكس المجتمعات الغربية التي لا تعارض مثل هذه الإجراءات والعلاقات الاجتماعية.

وتحمل الرواية خطاب المرأة، وحقها في الحياة، وتعصب الجنوب للذكر وتفضيله على الأنثى، وفي الهند تحرق الإناث اللاتي يموت أزواجهن، بينما دول الشمال لا تميز عنصرياً بين الذكر والأنثى، فبطل الرواية يتمنى إنجاب أنثى، فيرزق بها، ويهتم الأب بتربيتها في حين انشغال أمها الصحفية بعملها.

ولأمين معلوف بعض الروايات الأخرى التي لم أتناولها في أطروحتي، وهي:

الرواية التاسعة– رحلة بالداسار:

صدرت بالفرنسية، وترجمتها إلى العربية: روز مخلوف، والترجمة الثانية لنهلة بيضون، وصدرت الترجمة العربية عام ٢٠٠١م، وبالداسار تاجر مسيحي من لبنان، من القرن السابع عشر، كان يتاجر في التحف والكتب والمخطوطات والمقتنيات الأثرية، في أثناء الحروب الصليبية على الشرق، وعثر بالداسار على كتاب "الاسم المائة"، لمؤلفه المسلم: ماهر المازندراني، الذي يحمل سر اسم الله المائة، المكمل للأسماء الحسنى التسعة والتسعين، وكان كتاباً ممنوعاً من الدولة العثمانية، وذا أهمية لدى متبعي الديانات الثلاثة: النصارى واليهود والمسلمين.

وتتنوع الشخصيات الروائية بين الشخصيات التي تتفق مع البطل بالداسار في الفكر والمنظور، مثل: ميمون اليهودي، وبعض الشخصيات الروائية المناوئة فكرياً، مثل: جابر وهو ابن شقيقة البطل بالداسار، وهو عرافٌ تنبأ بنهاية العالم خلال شهور قليلة قبل سنة ١٦٦٦م، وساباتاي اليهود، الذي عد نفسه مخلّصاً لليهود ومسيحاً لهم، أما الفئة الثالثة من الشخصيات فمنها مارتا، التي اصطحبها البطل وسافرا للبحث عن زوجها المتغيب منذ سنوات.

الرواية العاشرة– غرق الحضارات:

صدر الكتاب عام ٢٠١٩م، بترجمة نهلة بيضون، ويقدم الكاتب نظريته ورؤيته المستقبلية بفناء الحضارات الموجودة سواء القوية والضعيفة، وأن العرب لم يستطيعوا تخطي

هزيمتهم أمام إسرائيل التي لم تخرج من نشوة انتصارها، مستبعداً نهاية الصراع العربي الإسرائيلي في المستقبل القريب. ويجمع الكتاب بين كونه سيرة ذاتية تحمل سيرة العالم العربي المعاصر.

الرواية الحادية عشرة– إخوتنا الغرباء:

صدرت عام ٢٠٢١م، بترجمة نهلة بيضون، وهي رواية تتشرف مستقبل العالم، ويمكن القول بأنها من روايات الخيال العلمي نوعاً ما، فتتحدث عن أقوام من الثقافة الهيلينية، يأتون بسفنهم من جانب البحر، ولهم قدرة على علاج البشر من السرطان، فهنا يقدم الروائي نظرية العالم الموازي، ولا يثبت أن هؤلاء جاؤوا من الفضاء أو من كوكب آخر، ولكنهم منقذون للبشرية، وتحمل الرواية مغزى رمزياً في هدفها وسردها.

الخاتمة: وتشمل نتائج البحث

في انتهاء هذا البحث أودّ الإشارة إلى أبرز نتائجه كالتالي:

- الرواية التاريخية نوعٌ من أنواع الرواية الأدبية، تمزج الحقيقة التاريخية بالخيال الأدبي.
- أمين معلوف من أبرز الروائيين العرب، الذين أسهموا في تأليف الرواية التاريخية.
- قدم أمين معلوف الروايات التاريخية التي استندت إلى المادة التاريخية، سوى رواية "القرن الأول بعد بياتريس" التي استندت على عصر تاريخي متخيل، ستعيشه الحضارات والدول خلال القرن الحالي، إضافة إلى استشراف المستقبل والتنبأ بأحداثه من غرق الحضارات وفنائها في روايتي: "غرق الحضارات" و"إخوتنا الغرباء".
- تشتمل روايات أمين معلوف على بعض الشخصيات الخيالية والأحداث المفتعلة، وكذلك قدم بعض الحقائق التاريخية المتخيلة لبعض الشخصيات الروائية.
- اهتم أمين معلوف بالموضوعات التي تشمل التقارب الديني، والسلام، كما تحدث عن الشخصيات التي تمثل التسامح، مثل: ماني، وعمر الخيام، وسعى للتقارب بين الشرق والغرب، من خلال شخصية الحسن الوزان (ليون الأفريقي).
- تطرق أمين معلوف إلى موضوع الاستشراق من خلال رواية سمرقند، والقرن الأول بعد بياتريس.

(الهوامش ***References***)

(١) علوش، سعيد: معجم المصطلحات الأدبية المعاصرة، ص: ١٠٣، دار الكتاب اللبناني – بيروت، ط/١، ١٩٨٥م.

ʿlūš, Saʿīd: Muʿǧam Al-Muṣṭalaḥāt Al-ʾadabīaẗ Al-Muʿāṣeraẗ, P: 103.

(٢) وهبة، مجدي، وكامل المهندس: معجم المصطلحات العربية في اللغة والأدب، ص: ١٨٤، مكتبة لبنان – بيروت، ط/٢، ١٩٨٤م.

Ūhbaẗ, Maǧdī, Ūa Kāmel Al-Muhandes: Muʿǧam Al-Muṣṭalaḥāt Al-ʿrabīaẗ Fī Al-Luġaẗ Wālʾadab, P: 184.

(٣) قاسم، محمود محمد: أعرق مؤسسة ثقافية أوروبية تمنحه عضويتها: أمين معلوف في الأكاديمية الفرنسية، المجلة، ص: ٥٨ – ٥٩، الهيئة المصرية العامة للكتاب، العدد: ٥، أغسطس ٢٠١٢م.

Qāsem, Maḥmūd Muḥamad: Aʿraq Muʾsasaẗ Ṯaqāfīaẗ Ūrūbīaẗ Tamnaḥuhu ʿuḍweytahā: Amīn Maʿlūf Fī Al-ʾakādīamīaẗ Al-Faransīaẗ, Al-Maǧalaẗ, P: 58 – 59.

(٤) معلوف، أمين: الهويات القاتلة قراءات في الانتماء والعولمة، ص: ٢١ – ٢٣، ترجمة: د. نبيل محسن، الناشر: ورد للنشر – دمشق، سوريا، ط: ١، ١٩٩٩م.

Maʿlūf, Amīn: Al-Huweyāt Al-Qātelaẗ Qerāʾāt Fī Al-Entmāʾ Wālʿūlamaẗ, P: 21 – 23.

(٥) المناصرة، عز الدين: الهويات والتعددية اللغوية (قراءة في ضوء النقد الثقافي المقارن)، ص: ٣٤٩، دار الصايل – عمّان، الأردن، ٢٠١٤م.

Al-Manāṣeraẗ, ʿez Al-Dīn: Al-Huwyāt Wātaʿdudīaẗ Al-Luġaweyaẗ (Qerāʾẗ Fī Ḍūʾ Al-Naqd Al-Ṯaqāfī Al-Muqāran), P: 349.

(٦) بو علي، فؤاد: الإبداعات المغربية باللغات الأجنبية بين سلطة اللغة وسلطة الهوية قراءة تراتبية، ص: ١١٢ – ١١٣، مجلة الفكر الإسلامي المعاصر، عدد: ٨٠، مج: ٢٠، أبريل ٢٠١٥م.

Bū ʿalī, Fuʾād: Al-Ibdāʿāt Al-Maġrebīaẗ Belluġāt Al-ʾaǧnbīaẗ Baīn Sulṭaẗ Al-Luġaẗ Ūa sulṭaẗ Al-Huwyaẗ Qerāʾẗ Tarātebīaẗ, P: 112 - 113, Maǧalaẗ Al-Fekr Al-Islāmī Al-Muʿāṣer.

(٧) معلوف، أمين: الحروب الصليبية كما رآها العرب، ص: ١٠ – ٢٥، ترجمة: د. عفيف دمشقية، دار الفارابي – بيروت، لبنان.

Maʿlūf, Amīn: Al-Ḥurūb Al-Ṣalībīaẗ Kamā Raʾāhā Al-aʿrab, P. 10 – 25.

(٨) معلوف، أمين: سمرقند، ص: ١١، ١١١، ١٩٥، ٢٨١، دار الفارابي، د ت.

Maʿlūf, Amīn: Samarqand, P: 11, 111, 195, 281.

(٩) شمس الدين، د. محمد علي: رواية سمرقند لأمين معلوف الرواية التاريخ الالتباس، وقت القراءة: ٠٩:٠٠ مساء، ٢٥ مارس ٢٠٢٣م، الرابط:

https://maarefhekmiya.org/14861/samarkand

(١٠) معلوف، أمين: سمرقند، ص: ٦٠، ٦٣، ٩١، ١٣١– ١٣٢، ١٩٨ – ١٩٩، ٢٤٤ – ٢٤٥، ٢٥٦، ٢٦٨، ٢٨٠.

Maʿlūf, Amīn: Samarqand, P: 60, 63, 91, 131 – 132, 198 – 199, 244 – 245, 256, 268, 280.

(١١) معلوف، أمين: ليون الأفريقي، ص: ٤ – ٩، ترجمة: د. عفيف دمشقية، دار الفارابي – بيروت، لبنان، ط: ٣، ١٩٩٧م.

Maʿlūf, Amīn: Līūn Al-ʾafrīqī, P: 4 – 9.

(١٢) جوهي، د. أنطوني: نماذج الرحلات في رواية أمين معلوف: ليو الأفريقي، ص: ٥ – ٦٥، حوليات الآداب والعلوم الاجتماعية، جامعة الكويت، المجلد: ٢١، العدد: ١٦٣، ١٤٢٢هـ – ٢٠٠١م.

Ǧūhī, Dr. Anṭūnī: Namāḏeǧ Al-Reḥlāt Fī Rewāīaẗ Amīn Maʿlūf Līūn Al-ʾafrīqī, P: 5 – 65.

(١٣) معلوف، أمين: ليون الأفريقي، ص: ١٢ – ٨٧.

Maʿlūf, Amīn: Līūn Al-ʾafrīqī, P: 12 – 87.

(١٤) المصدر نفسه، ص: ٨٨ – ٢٣٨.

Ibid, P: 88 - 238.

(١٥) المصدر نفسه، ص: ٢٣٩ – ٣٠٧.

Ibid, P: 239 - 307.

(١٦) المصدر نفسه، ص: ٣٠٨ – ٣٨٩.

Ibid, P: 308 - 389.

(١٧) المصدر نفسه، ص: ٣٢١.

Ibid, P: 321.

(١٨) المصدر نفسه، ص: ٣٤٥.

Ibid, P: 345.

(١٩) انظر: القضاعي، أبو عبد الله محمد بن سلامة بن حكمون المصري (ت: ٤٥٤هـ): مسند الشهاب القضاعي، المحقق: حمدي بن عبد المجيد السلفي، ٢/ ٢٢٣، حديث رقم: ١٢٣٤، مؤسسة الرسالة – بيروت، ط: ٢، ١٤٠٧هـ – ١٩٨٦م.

Al-Qaḍāʿī, Abū ʿabd Al-Lah Muḥamad Ibn Salāmaẗ Ibn Ḥakmūn Al-Maṣrī (T: 454h): Musnad Al-Šahāb Al-Qaḍāʿī, Al-Muḥaqeq: Ḥamdī Ibn ʿabd Al-Maǧīd Al-Salafī, 2/ 223, Ḥadīṯ Raqam: 1234.

(٢٠) معلوف، أمين: ليون الأفريقي، ص: ١٢١، ٣٨٩.

Maʿlūf, Amīn: Līūn Al-ʾafrīqī, P: 121, 389.

(٢١) الحجمري، عبد الفتاح: هل لدينا رواية تاريخية، وقت القراءة: ٠٦:٣٠ مساء، ٢٥ مارس ٢٠٢٣م، على الرابط:

http://www.aljabriabed.net/n20_11hjamri.htm